



الإدارة بالأزمات من منظور القرآن الكريم

بولقصاع محمد

جامعة غرداية

Aboumariame0509@Yahoo. Com

ملخص -

إنَّ الفترة الحرجة التي يمرُّ بها العالم اليوم وبالأخصَّ الإسلاميَّ منه، ليؤرِّق المضجع، ويقطع القلب، ويُدِّمِع العين، ويَدْعُ الحليم حيران؛ نظرا للأزمات المتفشية فيه والتي اجتاحتها من كلِّ جهة بدءا بالتي تمسُّ الأفراد، مروراً بالأزمات التي تمرُّ بها الجماعات والمؤسسات والحكومات وانتهاء بالأزمات الدولية، سواء ما تعلق منها بالجانب الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو الأمني... وإزاء هذا الوضع المريع فإننا نجد أن المتعاملين مع هذه الأزمات هم على صنفين:

. صنف يسعى للحدِّ من انتشارها، والتقليل من أخطارها مع تسخير كافة الجهود لأجل الخروج منها بأسرع وقت، وبأقلِّ الخسائر وهو ما يسمَّى بإدارة الأزمات.

. وصنف آخر يروِّج لها، ويستثمر فيها، ويغذيها كلما تلاشت وضعفت، لأجل قضاء مصالحه وهذا الصنف يسمَّى بالإدارة بالأزمات.

وقد جاء هذا البحث ليسلِّط الضوء على مفهوم الإدارة بالأزمات مع تقديم نماذج لها من خلال القرآن الكريم، ثم بيان حكمها، وقبل ذلك كله لا بدَّ أن نمهِّد بتعريف لأهمِّ المصطلحات الملتصقة بالموضوع كبيان مفهوم الأزمة، وأسباب نشوئها، وخصائصها، ومفهوم إدارة الأزمات.

الكلمات المفتاحية: إدارة الأزمات. الاجتماعية. الاقتصادية. السياسية

Abstract –

The critical period experienced by the world today, particularly the Islamic thereof, for needling the bed, and cut the heart, and bring tears to the eye, and let Halim Hiran; because of the crises rampant and which invaded on every side from the one that touches individuals, through the crises experienced by the groups, institutions, governments, and the end of international crises both those relating to the social, economic, political or security aspect ...

Faced with this grim situation, we find that dealing with these crises are two categories:

Class seeks to limit the spread and reduce the risks to harness all efforts in order to get out as soon as possible, and with minimal losses, a so-called crisis management.

And another variety promoted, and invest in, and fueled by the more faded and weakened, in order to eliminate its interests and this breed is called crisis management.

This search came to shed light on the concept of management of crises with the submission of its model through the Koran, and then release its verdict, and, above all, we must pave the definition of the main conjoined term subject as a statement of the concept of crisis, and the reasons for its inception, and its characteristics, and the concept of crisis management.

Key-words: Crisis Management. Social . Economic. Political

مقدمة –

كثير من الناس لا يفرّقون بين "إدارة الأزمات" و "الإدارة بالأزمات" فضلا عن ذلك تنقصهم معارف ومعلومات تتّصل اتّصالا مباشرا بهذا العلم؛ ولذا كان من الواجب على الباحث أن يعرّج أولا على هذه التعريفات ولو بشكل سريع؛ لأنها بمثابة مفاتيح للولوج في هذا الموضوع.

. تعريف الأزمة.

الأزمة في اللغة هي: الشدة والقحط، وأزم عن الشيء أمسك عنه، و المأزم المضيق وكل طريق ضيق بين جبلين مأزم، وموضع الحرب أيضا مأزم، ومنه سمّي

الموضع الذي بين المشعر وبين عرفة مأزمين (1)، والأوازم: "السُّنُونُ الشَّدَائِدُ كَالْبَوَازِمِ. وَأَزَمَ عَلَيْهِمُ الْعَامُ وَالْدَّهْرُ يَأْزِمُ أَزْمًا وَأَزُومُ، وَالْمُتَأَزِّمُ: الْمُتَأَلِّمُ لِأَزْمَةِ الزَّمَانِ وَشِدَّتِهِ وَأَزَمَتْهُمْ السَّنَةُ أَزْمًا: اسْتَأَصَلَتْهُمْ، وَيُقَالُ: أَصَابَتْنَا أَزْمَةٌ وَأَزْمَةٌ أَيْ: شِدَّةٌ" (بر).

وقد ورد هذا المفهوم اللغوي في بعض كتب الحديث فمن ذلك ما جاء في المستدرك على الصحيحين: «أَنَّ قُرَيْشًا أَصَابَتْهُمْ أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ، وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ فِي عِيَالٍ كَثِيرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمِّهِ الْعَبَّاسِ: وَكَانَ مِنْ أَيْسَرِ بَنِي هَاشِمٍ يَا أَبَا الْفَضْلِ: إِنَّ أَحَاكَ أَبَا طَالِبٍ كَثِيرُ الْعِيَالِ، وَقَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الْأَزْمَةِ» (تر).

والقرآن الكريم خلّو من مفردة الأزمة ومشتقاتها إلا أنه استعمل مرادفات تصب في معناها اللغوي مثل:

— الشِّدَّةُ: وقد وردت في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ [يوسف: 48] وهي تعني القحط والمجاعة.

— الضَّرُّ: كقوله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿قَالُوا يَتَّيِّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْءَةٍ مُرْجَةٍ فَأَوَفَّ لَنَا الْكَيْلَ وَنَصَدَّقَ

1 . ينظر: الرازي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، ط 5، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م، ج 1، ص 17، مادة: أَرَمَ.

2 . ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط 3، دار صادر، بيروت، 1414 هـ، ج 12، ص 16. 17، مادة: أَرَمَ.

3 . الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، كتاب معرفة الصحابة، ج 3، ص 666،

عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ [يوسف: 88]، ومعناه: "أصابنا وأصاب أهلنا معنا الفقر والجذب والهزال من شدة الجوع" (4).

- المصيبة: كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْصِبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 165]، فالله سمى الأزمة التي حلت بالمؤمنين يوم أحد بالمصيبة، حيث استشهد منهم سبعين ٥.

وكالابتلاء، والتَّمْحِص، والعُسْر، والشَّدة، والكَرْب، والظَّمأ، والنَّصَب، والمخمصة، والزَّلْزال، والسَّنين، والسُّوء، والمحنة... وهي كلها مرادفات ونظائر للأزمة تشترك وتُلقي بظلالها على معنى: الشَّدة، والضَّيق، والكَرْب.

أ - اصطلاحاً: يعدُّ مصطلح الأزمة من أكثر وأشهر المصطلحات شيوعاً وتداولاً في العصر الحالي، وتعددت تعريفاتها تبعاً لنوع الأزمة ومستواها، فمن تعريفاتها:

- "هي تلك النقطة الحرجة واللحظة الحاسمة التي يتحدّد عندها مصير تطوُّر ما، إمّا إلى الأفضل وإمّا إلى الأسوأ: الحياة أو الموت، الحرب أو السِّلْم، لإيجاد حلٍّ لمشكلة ما أو انفجارها" (سم).

- "أنها خللٌ مفاجئ نتيجة لأوضاع غير مستقرّة، يترتّب عليها تطوّرات غير متوقّعة نتيجة لعدم القدرة على احتوائها من قبل الأطراف المعنية" (6).
ومما يجدر التنبيه إليه أنّ هناك مصطلح لصيق بالأزمة وهو: "الكارثة"؛ لكن يتّضح الفرق بينهما من خلال تعريف الكارثة وهي: "حدث يسبب دماراً واسعاً ومعاناة عميقة، وهو سوء حظ عظيم" (7).

4 . طنطاوي محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، 1998م، ج7، ص411.

5 . العماري عباس، إدارة الأزمات في عالم متغير، ط1، مركز الأهرام، القاهرة، 1414هـ، ص25.

6 . عثمان محمد مختار، مبادئ علم الإدارة العامة، بنغازي، جامعة قار، 1991، ص66.

أما السيد عليوة، فقد قال بأن الكارثة: "هي أحد أكثر المفاهيم التصاقاً بالأزمات، وقد ينجم عنها أزمة، ولكنها لا تكون هي أزمة بحد ذاتها، وتعبّر الكارثة عن حالة مدمّرة حدثت فعلاً ونجم عنها ضرر في المادّيات أو كليهما معاً"⁽⁸⁾.

ومن هنا فإن الكوارث أغلبها تكون أسباباً لوقوع الأزمات ومثال ذلك إذا حدثت كارثة طبيعية مثل: البراكين، أو الزلازل، أو الفيضانات فإنّها تلحق أضراراً بليغة في الجانب البشري والمادّي، وتسبّب في وقوع أزمات بعدها كأزمة المأوى والسكن⁽⁹⁾.

ومن أمثلتها في القرآن الكريم كارثة انفجار سدّ مأرب على مدينة سبأ حيث أوقعت بهم خسائر ماديّة وبشرية، وتولّدت بعدها أزمات كثيرة كأزمة التمرّق في البلاد، والهجرة الجماعية، وأزمة السكن وغير ذلك يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَأْكِفُوا وَيَأْمَنُوا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سبأ: 15 - 19].

7 . الشعلان فهد أحمد، إدارة الأزمات (الأسس . المراحل . الآليات)، مطابع أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، 1999م، ص28.

8 . عليوة السيد، إدارة الأزمات في المستشفيات، دار: إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص12.

9 . وقد عايشنا حلول كارثة في ولايتنا (بغرداية) حيث ضرب فيضان كبير سنة 2008م، فخلّف أضراراً مادية وبشرية معتبرة وأدى بعدها إلى ظهور أزمات حادة كأزمة الغذاء والسكن وانقطاع الكهرباء والغاز والمياه الصالحة للشرب.

ويُتَّضح الفرق أكثر بإجراء مقارنة بينهما من خلال الجدول الآتي⁽¹⁰⁾ :

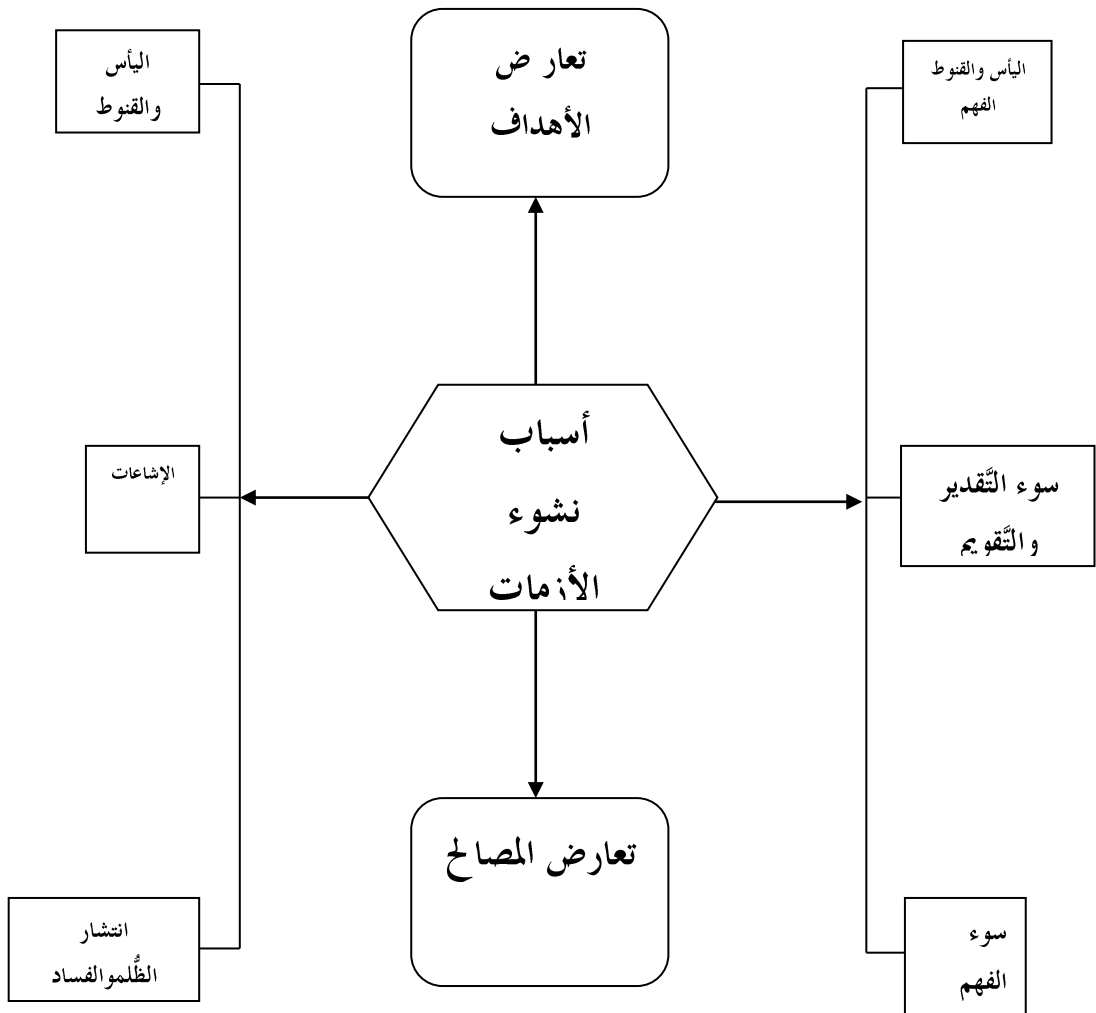
وجه المقارنة	الأزمة	الكارثة
المفاجأة	تصاعدية	كاملة
الخسائر	معنوية وقد يصاحبها خسائر بشرية ومادية	خسائر بشرية ومادية كبيرة
أسبابها	بشرية	غالباً طبيعية وأحياناً بشرية
التنبؤ بها	إمكانية التنبؤ	صعوبة التنبؤ
الضغوط على متخذ القرار	ضغوط شديدة وتوتر عال	تفاوت في الضغوط تبعاً لنوع الكارثة
المعوقات والدعم	أحياناً وبسريرة	غالبية ومعلنة
أنظمة وتعليمات المواجهة	داخلية	محلية وإقليمية ودولية

1) . أسباب الأزمات: الأزمات ليست وليدة ذاتها بل هي نتيجة لمجموعة أسباب أدت إلى نشوئها، ومعالجتها لا تتم دون معرفة لأسبابها، وإلا أصبحت عملية لإهدار الوقت، والجهد، والمال فتؤدي حينئذ إلى تفاقم الأزمة وامتدادها لفترة أطول؛ لذا فالمعرفة الحقيقية لأسباب نشوء الأزمة تتجلى في اتخاذ قرار فاعل وسريع.

ومعرفة أسباب الأزمات لأجل تفاديها واجب على المؤمن معرفته؛ لأن الأصل في المؤمن أن يحيا حياة طيبة، علاوة على ذلك لا بد له أن يدرك سنن الله في كونه والتي لا تتخلف ولا تحيد ﴿فَلَنْ نَجْدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجْدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ﴿٦٣﴾ [فاطر: 43]. وما سنة تداول الأزمات إلا كسنة تعاقب الليل والنهار، زيادة على ذلك أن المؤمن مطالب بالاستخلاف والتمكن في الأرض وهذا لا يتأتى إلا بمعرفة أسباب نشوء الأزمات حتى يحقق هذا الوعد الإلهي. والمخطط الآتي يلخص لنا أسباب نشوء الأزمات⁽¹¹⁾ :

10 . الشعلان فهد أحمد، إدارة الأزمات (الأسس - المراحل - الآليات)، مرجع سابق، ص 37.

11 . هذا المخطط قريب مما ذكره الخضير في كتابه. ينظر: الخضير، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص 66.



(2) . خصائص الأزمات:

رغم اختلاف أنواع الأزمات إلا أنَّ جميعها يشترك في سمات ومميّزات تُعرف بها وهي كالآتي:

❖ يظهر فيها عنصر المفاجأة وهو ناتج عن عدم توقُّع حدوثها من حيث المبدأ، أو إنَّه لم يتم توقُّع حجم الآثار النَّاجمة عنها، فكانت آثارها أكبر بكثير مما تم التَّنبُّؤ به⁽¹²⁾.

❖ تظهر فيها أعراض سلوكية مَرَضِيَّة خطيرة لدى فئة عريضة من المجتمع مثل: القلق، والتَّوتر، والخوف، وفقدان الدَّافع على العمل، وتقطع النَّسيج الاجتماعي، وانْهيار هيكل القيم والعادات والتَّقاليد، وشيوع اللامبالاة وعدم الانتماء⁽¹³⁾.

❖ يسود فيها نقص المعلومات وتداخلها، كما تُنسج فيها الشَّائعات والأباطيل مما يُوَدِّي إلى عدم وضوح الرُّؤية بالنَّسبة للإجراءات التي ينبغي اتِّخاذها بشأن الأزمة⁽¹⁴⁾.

❖ تتسبَّب الأزمات غالباً في وقوع خسائر سواء كانت بشرية أو مالية أو معاً، كما تُخلِّف صدمات نفسية عميقة.

❖ الأزمة بطبيعتها معقَّدة، ومتشابكة، ومتداخلة فيما بينها، ومعطياتها غير واضحة المعالم، ومتعدِّدة الطُّرق⁽¹⁵⁾.

3. مراحل الأزمة:

تتحدُّ الأزمات عبر الأزمنة فتبدأ في الظُّهور حتى تتزايد وتنمو ثم تشتدُّ وتقوى، وبعدها تبدأ في الأفول والنَّهاية. يقول الهديمي: "تمرُّ الأزمة باعتبارها ظاهرة اجتماعية بدورة للحياة، مثلها في ذلك مثل أيِّ كائن حيٍّ، وهذه الدَّورة تمثِّل أهميَّة قصوى عند قيامنا بمتابعة الأزمة، ومحاولة الإطاحة بها"⁽¹⁶⁾.

12. ينظر: دره محمد، إدارة الأزمات، مجلة الفكر الشرطي، الإمارات العربية المتحدة، مجلد6، 1997م، ص17.

13. ينظر: الخضير، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص133.

14. ينظر: الدليمي عبد الرزاق محمد، الإعلام وإدارة الأزمات، ط1، دار المسيرة، عمَّان، 2012م، ص: 107.

15. ينظر: الحريري محمد سرور، إدارة الأزمات السياسية واستراتيجيات القضاء على الأزمات السياسية الدولية، ط1، دار حامد للنشر والتوزيع، عمَّان، 2012م، ص: 81.

16. الهديمي ماجد سلامة، مبادئ إدارة الأزمات، دار زهران، القاهرة، د.ت. ص41.

وفيما يأتي بيان لمراحل جميع الأزمات:

✓ المرحلة الأولى: مرحلة الإنذارات والتحذيرات: وهي المرحلة التي تنبئ عن شيء ما يلوح في الأفق القريب، وينذر بموقف غير محدد المعالم، وتسمى أيضاً بمرحلة الإنذار من وقوع أزمة، وهي غالباً ما تكون مرحلة تتبلور فيها مشكلة ما، وتتفاقم حتى تتولد عنها أزمة؛ لأنَّ الأزمة عادةً لا تنشأ من فراغ وإنما يسبقها مشكلة لا تعالج علاجاً مناسباً⁽¹⁷⁾.

فإذا تفضن أصحاب الإدارة والمنظمات لهذه المرحلة فإنهم سيحدثون من انتشارها، ويثدونها في مهدها، وإلا فستنتقل إلى المرحلة الموالية.

✓ المرحلة الثانية: مرحلة ميلاد الأزمة: وفيها تبدأ الأزمة في الظهور والانتشار، وعلى المنظمات أن تكون قد وضعت برامج ومخططات لأجل إجهاضها، كما تسعى إلى قطع روافد ومعرزات الأزمة حتى لا تستفحل وتنتشر كالنار في الهشيم.

✓ المرحلة الثالثة: مرحلة نمو الأزمة واتساعها: فعندما لا يتم معالجة الأزمة في مرحلة ميلادها، تنتقل إلى مرحلة النمو والانتساع بشكل متصاعد ومتزايد نتيجة انتشار الإشاعات الكاذبة، والإعلام الهدام... وهو ما يعبر عنه بالتدفق المتصاعد.

وفي هذه المرحلة يتعاظم الإحساس بالأزمة، ويزداد ثقلها وكثافتها يوماً بعد يوم فضلاً عن دخول أطراف جديدة إلى ساحة الأزمة لتصبح بمثابة روافد مغذية للأزمة ومفعلة لها.

✓ المرحلة الرابعة: مرحلة انفجار الأزمة: وفي هذه المرحلة تبلغ الأزمة ذروتها، وذلك عندما تحدث حالة انفصام وانفصال بين مصلحة العامل، وبين مصلحة الكيان الإداري الذي يعمل فيه⁽¹⁸⁾.

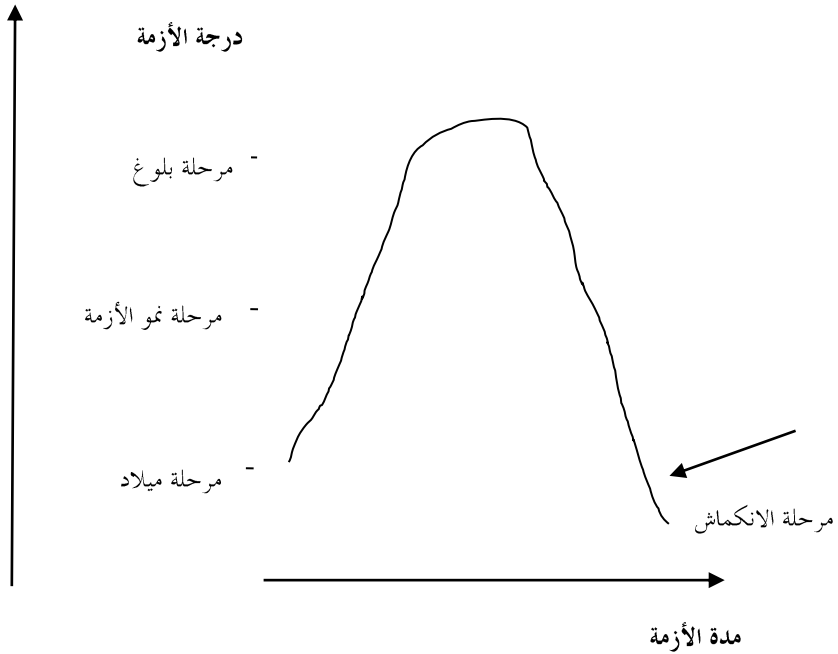
✓ المرحلة الخامسة: مرحلة انحسار الأزمة وانكماشها: وتأتي بعد المواجهة ومعرفة الخسائر وتقييمها، والتكيف مع الوضع وإعادة الأمور إلى طبيعتها⁽¹⁹⁾.

17 . ينظر: الصيرفي محمد، إدارة الأزمات، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ص 62.

وينظر: قطيش نواف أحمد، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص 38.

18 . ينظر: الخضير، إدارة الأزمات، مرجع السابق، ص: 79.

والشكل الآتي يلخص هذه المراحل:



4 . مفهوم إدارة الأزمات:

"إدارة الأزمة هي علم وفن السيطرة على الموقف وتوجيهه بما يخدم أهدافاً مشروعة من خلال أحداث الموقف، وتوجيهه بما يخدم أهداف مشروعة من خلال إدارة الأزمة ذاتها من أجل التحكم في ضغطها ومسارها واتجاهها"⁽²⁰⁾.

وتعمل إدارة الأزمات على تحقيق هدفين أساسيين هما:

الأول: العمل على عدم حدوث الأزمات بإزالة مسبباتها، أو التقليل من حدة آثارها بإعداد التدابير اللازمة، وباستخدام التقنيات الحديثة والاحتياطات المناسبة.

19 . ينظر: سامي محمد هشام، المهارة في إدارة الأزمة وحل المشكلات، رسالة ماجستير بالجامعة الأردنية، 2007، ص22.

20 . الخضير محسن أحمد، إدارة الأزمات: منهج اقتصادي إداري لحل الأزمات على مستوى الاقتصاد القومي والوحدة الاقتصادية، مكتبة مدبولي القاهرة، 1990، ص 17.

. الثاني: رسم خطة إستراتيجية فعّالة لمواجهة الأزمة عند حدوثها، وتقليل آثارها، والعمل على إعادة التوازن والنشاط للمنظمة بعد انتهاء الأزمة⁽²¹⁾.

إذا فالهدف من إدارة الأزمات يكمن في السعي بالإمكانات البشرية المؤهلة، والمادية المتوفرة إلى إدارة الموقف الأزموي مؤدياً بنا إلى تحقيق النتائج الآتية:

- وقف التدهور والتقليل من الخسائر، (التحكم في الموقف).
- تأمين وحماية العناصر الأخرى المكوّنة للكيان الأزموي.
- السيطرة على حركة الأزمة والقضاء عليها.
- الاستفادة من الموقف الناتج عن الأزمة في الإصلاح والتطوير.
- دراسة الأسباب والعوامل التي أدت للأزمة، لاتخاذ إجراءات الوقاية لمنع تكرارها، أو حدوث أزمات مشابهة لها مستقبلاً.

ومن نماذج إدارة الأزمات في القرآن الكريم ما يأتي:

* الجانب الاجتماعي: ومثاله إدارة النبي ﷺ لأزمة حادثة الإفك والتي هزّت المجتمع المدني لأزيد من شهر، حيث أنهم فيها زوجه عائشة رضوان الله عليها؛ لكنه ﷺ أدار هذه الأزمة بكل حنكة ودهاء حيث حافظ على توحيد الصفّ الدّاخلي؛ وخاصة لما همّ الأوس والخزرج أن يقتتلوا بينهما بسبب تلك الأزمة⁽²²⁾، كما لم يفتح ﷺ جبهة مع المنافقين رغم أنهم نالوا من عرضه الشّريف، وهذا درءاً منه أن يقول المشركون "محمد يقتل أصحابه".

وقد نزلت بسبب الحادثة آيات عظام من صدر سورة النور لتضع حداً لهذه الأزمة فبرأت عائشة من فوق سبع سماوات، وأنزلت حدّ الجلد في الذين خاضوا عرضها، كما توعّدت الذين افتعلوا الإفك وجاءوا به بالعذاب العظيم...

* الجانب الاقتصادي: ونمثّلها بإدارة يوسف ﷺ للأزمة الاقتصادية التي اجتاحت مصر في زمانه لمدة سبع سنين، حيث تمكن يوسف ﷺ بالتنبؤ بها قبل حلولها بسبع سنين، فوضع خطة عملية محكمة كتكثيف الزراعة، والحفاظ على

21. ينظر: هيكل محمد أحمد، مهارات إدارة الأزمات والكوارث والمواقف الصعبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006م، ص23.

22. ينظر الحادثة في صحيح البخاري، رقم الحديث: 4750.

المنتوج بإبقاء الحب في سنبله، وبناء المخازن لحفظ الغلال، وانتهاج سياسية الترشيح في الاستهلاك، والتحفيز على ادّخار الأقوات.... وكان بفضل هذه الخطة الحكيمة إنفاذه للشعب المصري وما جاورها من الدول من هلاك محتوم، قال تعالى:

* الجانب السياسي: ونضرب المثل بالإدارة السليمانية عليه السلام للأزمة السياسية الدولية الواقعة بين مملكته من جهة، وبين مملكة ملكة سبأ من جهة أخرى، حيث استطاع سليمان عليه السلام أن يتوصل إلى إقناع ملكة سبأ وإدخالها في الإسلام سلمياً من دون اللجوء إلى استخدام القوة رغم امتلاك سليمان عليه السلام لها من بابها الواسع، وقد كان سبب دخولها في الإسلام هو ما أحرزه سليمان عليه السلام من تقدّم في المجال العلمي ⁽²³⁾، والعسكري ⁽²⁴⁾، والحضاري ⁽²⁵⁾، وغير ذلك.

* الجانب العسكري: ويمكن أن نمثله بأزمة الأحزاب المذكورة تفاصيلها في سورة الأحزاب، حيث خرجت جموع الأحزاب من يهود خيبر، ويهود بني النضير، وكفار قريش، وغطفان... لقتال المؤمنين في المدينة، لكن النبي صلى الله عليه وسلم بفضل جهاز الاستخبارات علم بزحفهم إليه، وخطّط لحفر الخندق حول المدينة، فتفاجأ الأحزاب بذلك لأنها خطّة لا تعرفها العرب، ومما زاد للأزمة حدةً بليلة المنافقين لصفوف المؤمنين وإرجافهم في المدينة، ونقض بني قريظة للعهد... إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قائداً ملهماً وملماً بأبجديات الحرب، فقد وضع كلمة السرّ وحجب الشائعات عن معسكره، وأباح استعمال الخدعة في الحرب، والتجسس على أعدائه ⁽²⁶⁾....

(5) . مفهوم الإدارة بالأزمات:

23 . سرعة التنقل والحركة كالإتيان بعرش ملكة سبأ إلى فلسطين لمسافة تقدر بـ 3000 كلم في غضون أجزاء الثانية، وإسالة عين القطر له يعمل بها ما يشاء من الصناعات الثقيلة والحربية.

24 . جنود سليمان عليه السلام مكونة من الجن والإنس والطير والشياطين التي تبني له ما يشاء وتغوص في أعماق البحار، والخيول الصافنات الجياد.

25 . كتفوقه في مجال بناء الصروح الزجاجية فوق المياه....

26 . وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان لأجل التجسس على العدو. لينظر تفاصيل الحادثة في المستدرك للحاكم النيسابوري، مصدر سابق، رقم الحديث: [4325].

لا بدّ من وجوب التفريق بين إدارة الأزمات والإدارة بالأزمات، فالأولى تعني كما مرّ معنا سابقاً: كيفية التغلب على الأزمة بالأدوات العلمية الإدارية المختلفة، وتجنّب سلبياتها والاستفادة من إيجابياتها، بينما الثانية وهي الإدارة بالأزمات أو ما يعرف أيضاً بعلم صناعة الأزمات وهي التي تقوم أساساً على افتعال الأزمات، وإيجادها من عدم كوسيلة للتغطية والتمويه على المشاكل القائمة التي تواجه الكيان الإداري...

فافتعال الأزمات واختلاقها وصنعها من العدم أمر يصبح محور حياة صانع الأزمات، ليس فقط لتغطية حالات الفشل لديه، بل كوسيلة رئيسة للسيطرة على الآخرين وإخضاعهم لرغباته، وللتحكّم فيهم، وتوجيههم كما يرغب.

وخير مثال على ذلك ما يعتمد إليه بعض التجار من أصحاب الموقع الاحتكاري من خلق أزمات في بعض السلع من خلال تخزين هذه السلع، وعدم عرضها في السوق لغرض تعطيش المستهلك لها، وإشاعة أنّ هناك أزمة شديدة في إنتاج هذه السلع، مما يدفع المستهلكين إلى البحث عنها بأكثر من احتياجاتهم، وهنا يقوم هذا التاجر بعرضها سراً لتحقيق أرباح طائل⁽²⁷⁾.

ولعلّ المثال الذي يصلح للاستشهاد به في هذا الموضوع هو ما تستخدمه إسرائيل كثيراً في خلقها للأزمات وافتعالها ضدّ الفلسطينيين الأبرياء فتعمد أحياناً إلى غلق المعابر، وأحياناً إلى منع إدخال مادة ضرورية إلى قطاع غزة كالسكر، أو الأرز، أو البنزين،... وأحياناً تلجأ إلى الاعتقالات والمداهمات العشوائية، واستفزازهم، وإذا اضطر الأمر فإنها تلجأ إلى تصفيات بعض القادة، وتدمير بيوتهم، واجتياح أراضيهم... وهذا قصد إشغالهم بالوضع الداخلي المعقّن، والسعي للتحكّم فيهم، ولإيجاد مبرر للتدخل العنيف ضدّ الفلسطينيين كشعب، أو ضدّ قيادتهم كحكومة؛ ليصبح همّ الفلسطينيين الوحيد هو: كيف يؤمّن لقمة عيشه، ويوفر الأمن لنفسه؛ والله تعالى يخبرنا عن اليهود في افتعالهم للأزمات قائلاً: ﴿كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 64].

27. انظر: الخضير، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص: 34. 38.

لكن كثيرا ما تنقلب الأمور على اليهود وتنفلت من أيديهم لترجع عليهم وبالأخصرأنا
كما يُقال: "انقلب السحر على الساحر"، وفي هذا الصدد يقول المولى ﷺ: ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي
الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43]،
ويقول أيضا: قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا السَّوْآتَى﴾ [الروم: 10].

وقد جاء في البروتوكول السابع من كتاب الخطر اليهودي بروتوكولات
حكماء صهيون ما يلي: "يجب أن ننشر في سائر الأقطار الفتنة والمنازعات
والعداوات المتبادلة؛ فإن في هذا فائدة مزدوجة: فأمّا أولاً فبهذه الوسائل سنتحكم
في أقدار كلّ الأقطار التي تعرف حق المعرفة أنّ لنا القدرة على خلق الاضطرابات
كما نريد، مع قدرتنا على إعادة النظام، وكلّ البلاد معتادة على أن تنظر إلينا
مستغيثة عند إلحاح الضرورة متى لزم الأمر، وأمّا ثانياً فبالمكائد والدسائس،
سوف نصطاد بكلّ أحابيلنا وشباكنا التي نصبناها في وزارات جميع الحكومات،
ولم نحبكها بسياستنا فحسب، بل بالاتفاقات الصناعية والخدمات المالية
أيضاً" (8 بر).

6) نموذج للإدارة بالأزمات مع بيان مراحلها من خلال القرآن الكريم:
يذكر لنا القرآن الكريم في قصصه أنّ أغلب الطغاة، والجبابرة، وأصحاب
السُّلطة الفاسدة، قد مارسوا ما يسمّى بصناعة الأزمات ضدّ أنبيائهم وأتباعهم،
فأذاقوهم ألواناً من المصائب، وأنزلوا عليهم أنواعاً من العذاب حتى يفتنوه عن
دينهم ويخضعونهم لأهوائهم ورغباتهم... وفي المقابل يخوِّفون رعيّتهم من مغبة
اتباع الأنبياء لئلا يلحق بهم ما لحق بأتباع الأنبياء، فبذلك يحفظون
مصالحهم، ويحققون مكاسبهم، ويهايون ويطاعون جرأ ما يقترفون.

ولنا في الأزمات التي أحدثها صناديد قريش ضدّ الرّسول ﷺ ومن آمن معه
من السّابّقين الأوّلين أكبر مثال على ذلك، فقد مورس فيهم أزمة التقتيل،
والتعذيب، والتجويع، والحصار في شعاب مكة... ، فالمستضعفون من هؤلاء
المسلمين بالخصوص كانت تنزل عليهم أقسى العقوبات، فقد ذاق بلال بن رباح

28. الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي، دار الكتاب
العربي، بيروت، ص 140.

﴿ أَلَوَانَا مِنَ الْأَزْمَاتِ كَالْجُوعِ، وَالتَّعْذِيبِ، وَالمَهَانَةِ مِنْ سَيِّدِهِ أُمِّيَّةٌ بَنَ خَلْفَ، وَنَفْسُ الْأَمْرِ وَقَعَ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَآلِهِ، وَخَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ ﴾ مِنْ الطَّاعِيَةِ أَبِي جَهْلٍ... فَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ قَامَتِ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِتَعْذِيبِ أَبْنَائِهَا الَّذِينَ اعْتَنَقُوا الْإِسْلَامَ أَنْوَاعًا مِنَ الْعَذَابِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبِيلَةٌ فَأُجْرَتَ عَلَيْهِمُ الْأَوْبَاشُ وَالسَّادَاتُ أَلَوَانَا مِنْ الْأَضْطِهَادِ، يَفْزَعُ مِنْ ذِكْرِهَا قَلْبُ الْحَلِيمِ.

فَقَدْ كَانَ أَبُو جَهْلٍ إِذَا سَمِعَ بَرَجَلَ قَدْ أَسْلَمَ لَهُ شَرَفٌ وَمَنْعَةٌ أَنْبَهُ وَأَخْزَاهُ، وَإِنْ كَانَ تَاجِرًا قَالَ: وَاللَّهِ لِنَكْسَدَنَّ تِجَارَتَكَ، وَلِنَهْلِكَنَّ مَالَكَ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا ضَرِبَهُ وَأَغْرَى بِهِ (9 بر)، وَفِي حَقِّ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَزِّمِينَ يَصْدُقُ فِيهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَمْرٌ حَسْبُكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: 214].

النموذج الفرعوني في إدارته لدفة الحكم بافتعال الأززمات:

فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَمَازَجٌ لِنَسْأَعِ الْأَزْمَاتِ وَالْمُفْتَغِلِينَ لَهَا، وَمَنْ أَبْرَزَ هَؤُلَاءِ فِرْعَوْنَ الطَّاعِيَةِ الَّذِي جَاءَ ذِكْرُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ وَالسُّورِ؛ إِذْ نَجَدُهُ مُتَفَنِّئًا فِي صِنَاعَةِ الْأَزْمَاتِ وَمَجْسَدًا لِمَرَاكِهَا وَفَقَا لِمَا يَذْكُرُهُ الْعُلَمَاءُ الْمُتَأَخَّرُونَ وَالْمُتَخَصِّصُونَ فِي هَذَا الْفَنِّ.

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَشْنَعُ عَلَى فِرْعَوْنَ لِإِدَارَتِهِ أُمُورَ الْبِلَادِ عَنْ طَرِيقِ التَّرْوِيعِ، وَالتَّخْوِيفِ، وَالْإِذْلَالِ، وَالتَّنْذِيحِ، وَالتَّصْفِيَةِ الْعَرْقِيَّةِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ... يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: 4]. "أي: إن فرعون طغى وبغى وتجبّر في الأرض، وجعل أهلها شيعاً

29. ينظر ابن هشام عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري (ت: 213هـ)، السيرة النبوية لابن هشام، حققه: مصطفى السقا وآخرون، ط2، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1955م، ج1، ص92. وينظر: المباركفوري صفي الرحمن، الرحيق المختوم، ط1، دار الهلال، بيروت، صص: 74، 78.

وأتباعا له، وصار يستعمل كل طائفة منهم، فيما يريده من أمور دولته... واختص طائفة منهم بالإذلال والقهر والظلم، فصار يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم" (30).

وفرعون كان يعتمد دائما على تهيئة المسرح الأزموي لافتحال الأزمة، وإيجاد بؤرتها وزرعها في الأوساط الشعبية، وإحاطتها بالمناخ والبيئة التي تكفل نموها وتضاعفها، وكثيرا ما نلاحظ هذا في الحوار الذي جمع بين فرعون وملئه من جهة، وبين موسى وأخيه هارون. عليهما السلام. من جهة أخرى، حيث أن فرعون يريد أن يوقع بموسى عليه السلام في أزمة معينة كلما سنحت له الفرصة، ولكننا نجد أن موسى عليه السلام كان متفطنا لكيد فرعون، فناخذ على سبيل المثال لا الحصر: عندما سأل فرعون موسى وهارون عن ربهما: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ۖ ﴾ [طه: 49]، فأجابه موسى عليه السلام قائلا: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ ۖ ثُمَّ هَدَىٰ ۖ ﴾ [طه: 50]، عندها بهت فرعون أراد بعدها أن يوسع من دائرة الصراع، فألقى على موسى عليه السلام سؤالا به تثار ثائرة الشعب وهو يتعلق بمصير آبائهم وأجدادهم الذين كانوا على ملة فرعون، وهذه شنشنة من لا يجد حجة فيعمد إلى التشنيع ليختبئ فرعون من ورائها — ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ۖ ﴾ [طه: 51]، فأجابه موسى عليه السلام قائلا: ﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۖ ﴾ [طه: 52]، وهذا لعمري جواب في منتهى الذكاء؛ لأننا نجزم أن موسى عليه السلام يعرف مصير القرون الأولى التي انحرفت في عبادتها، فعبدت غير الله تعالى، فلو أجابه موسى أنهم في النار حينها ستنشب أزمة جديدة بينه وبين هؤلاء الناس، وموسى عليه السلام طبعا هو في غنى عنها ولم يأت لهذا؛ بل أتى ليخرج بني إسرائيل من استعباد فرعون ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ ﴾، وإذا أجاب بأنهم على حق — وهذا مستحيل. فلم جاء يعارض توجهاتهم!! لكنه عليه السلام قد عدل عن ذكر حالهم خيبة لمراد فرعون أن يوقعه في

30. طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، ج10، ص375.

أزمة، وعدولا عن الاشتغال بغير الغرض الذي جاء لأجله، والحاصل أن موسى عليه السلام تجنّب التصدي للمجادلة والمناقضة، وتحرّز من الوقوع في الأزمة، فأجاب بجواب عام لا يثير حفيظة أحد منهم.

يقول ابن عاشور: "إنّ فرعون أراد التّشغيب على موسى حين نهضت حجّته بأن ينقله إلى الحديث عن حال القرون الأولى: هل هم في عذاب؟... فإذا قال: إنّهم في عذاب، ثارت ثائرة أبنائهم فصاروا أعداء لموسى، وإذا قال: هم في سلام، نهضت حجة فرعون لأنّه متابع لدينهم، ولأنّ موسى لما أعلمه بربه وكان ذلك مشعرا بالخلق الأول خطر ببال فرعون أن يسأله عن الاعتقاد في مصير النّاس بعد الفناء، فسأل: ما بال القرون الأولى؟ ما شأنهم وما الخبر عنهم؟ وهو سؤال تعجيز وتشغيب. وقول موسى في جوابه علمها عند ربي في كتاب صالح للاحتمالين" (31).

وفيما يأتي بيان مراحل صناعة الأزمات التي كان يجسدها فرعون مع موسى عليه السلام وبني إسرائيل (32):

❖ المرحلة الأولى: مرحلة الإعداد لميلاد الأزمة.

وأهم الخطوات التّفيذية التي طبّقها في هذه المرحلة هي:

- تزوير الحقائق ونشر الأكاذيب: وذلك بسعي فرعون إلى تشويه سمعة موسى عليه السلام ودعوته، وإطلاق الشائعات عليه، واختلاق الأكاذيب، لتصويره في أنفوس النّاس على أنّه فاقد للأهلية والرّشاد: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بُرْكَيْهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الذاريات: 38 - 39]
- [، وفي المقابل يسعى فرعون إلى تحسين سمعته وتبييضها في أوجه النّاس ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر: 29]. كما كان يقلب الحقائق وينشر الأغاليط ويُقنع بها شعبه

31. ابن عاشور، التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج16، ص234.

32. هذه المراحل النظرية العلمية لكيفية صناعة الأزمات مأخوذة من كتاب "إدارة الأزمات للخضري. إنظر: الخضري محسن أحمد، إدارة الأزمات، مصدر سابق، ص: 46. 54.

استخفافا منه بعقولهم ﴿ فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ﴾ [الزخرف: 54]،
فمن ذلك زعمه بأن موسى ﷺ قد جاء لتهديد أمن واستقرار البلاد والعباد: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ۖ ﴾ [غافر: 26]، وأنه ﷺ يهدف إلى إخراج أهل مصر من ديارهم وأرضهم ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى ۖ ﴾ [طه: 57].

— توظيف الإعلام المضاد وذلك من خلال حشد فرعون للمؤيدين له ضد دعوة موسى ﷺ: ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۖ ﴾ [٥٧] إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۖ ﴿ وَأَنَّهُمْ لَنَا لَآئِطُونَ ۖ ﴾ [الشعراء: 53 - 56].

— استخدام أجهزة الدولة لدعم أفكاره وتوجهاته: كان فرعون يفعل ويسخر مكاسب دولته لتحقيق رغباته وتنفيذ خططه كاستخدامه لهامان وملئه وجنوده حيث صاروا أداة فعالة في يده، ينفذون أوامره ويتكلمون بلسانه: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۖ ﴾ [١٣] يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۖ ﴿ [الأعراف: 109 - 110]، وقال أيضا: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُسُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ۖ ﴾ [الأعراف: 127].

❖ المرحلة الثانية: مرحلة إنماء وتصعيد الأزمة.

ويطلق عليها البعض مرحلة التَّعبئة الفاعلة والمكثفة للضغط الأزمووي، وقد حشد فرعون كل قواه المعادية لاستهداف موسى ﷺ ودعوته، وأراد إيقاعه في فخ يشهده الجميع، واستعمل فرعون تكتيك التصعيد الأفقي للأزمة، حيث قام . كما مر معنا . بكسب المزيد من الحلفاء والمؤيدين لقوى صنع الأزمة، وانضمامهم له في عملية زيادة الضغط الأزمووي على موسى ﷺ، ولم يقتصر

فرعون على مواجهته لوحده؛ بل وسَّع من نطاق المواجهة لتشمل المدن المجاورة حيث سيقوم بمواجهته أهل الخبرة والاختصاص، فبذلك تجعل من موسى . في نظر فرعون. أن يواجه أزمة معقدة وصعبة أمام الملائكة وفي وضع النهار حتى تقوِّض دعائمه وتهدم أركانه، يقول تعالى في شأن فرعون: ﴿ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۖ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۚ ﴾ ٥٩ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأُلْعَتْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿ ٦٠ ﴾ يَا ثَوَكُ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿ ٦١ ﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿ ٦٢ ﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿ ٦٣ ﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿ ٦٤ ﴾ ﴿ [الشعراء: 34 - 40].

❖ المرحلة الثالثة: مرحلة المواجهة العنيفة والحادة.

وهي تلك المرحلة التصادمية بين الكيان المنشئ للأزمة وهو فرعون وملؤه، وبين الكيان المطلوب صناعة الأزمة فيه وهو موسى عليه السلام ومن آمن معه من بني إسرائيل، وقد تمَّ إعداد هذه المرحلة إعداداً جيداً وذلك من خلال ما يأتي:

— اختيار يوم معلوم، ووقت محسوم: واليوم المعلوم: هو يوم الزينة وقد كان عيداً لهم يتزيّنون فيه ويجتمعون، ووقت الحسم: هو الضحى وهو وقت ارتفاع شمس النهار (ترتر)، قال تعالى: ﴿ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ وَنَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَّى ﴾ ٥٨ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُحَى ﴿ ٥٩ ﴾ [طه: 58 - 59].

33 . ينظر: الزحيلي وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1418هـ، ج16، ص230.

- استدعاء سحرة مهرة متمكنون في السحر: ﴿وَأَعْتَفَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الشعراء: 36 - 37]، أي: "يأتوك بكل سحار فائق في سحره، عليم بفنونه ومدخله" (34).

- فتح دعوة عامة لجميع الناس ليحضروا مشهد المبارزة بين السحرة وموسى عليه السلام: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٨﴾ لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الشعراء: 39 - 40].

المجيء إلى ميدان الحسم صفوفًا؛ لأنهم إذا كانوا الواحد حذو الآخر وكان الصف منهم تلو الآخر كانوا أبهر منظرًا، وأهيب في صدور الرائيين (35) ﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثَمَّ أَتَيْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿٤٠﴾﴾ [طه: 64].

- رفع معنويات السحرة، وتقديم الدعم المادي والمعنوي لهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء: 41 - 42] أي: فلما جاء السحرة ابتداءوا بطلب الجزاء، وهو إماء المال، وإماء الجاه. فبذل لهم ذلك بقوله: "نعم"، وأكد بقوله: "وإنكم إذا لمن المقربين"؛ لأن نهاية مطلوبهم منه البذل ورفع المنزلة فبذل كلا الأمرين (36).

فميدان المواجهة في نظر فرعون محكم ومسيطر عليه من كل الجهات وأن الأمر سيكون محسوما في صالحه لا محالة، وأن المشهد كافٍ لزعة الثقة بموسى عليه السلام (37) لإجباره على الانصياع، وللاستجابة الكاملة لما يُملى عليه.

34. طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج10، ص245.

35. ينظر: الزمخشري، الكشاف، مصدر سابق، ج3، ص73.

36. ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1421هـ، ج24، ص502.

37. حقيقة أن موسى عليه السلام فرغ من ذلك المشهد العظيم لكونه بشر من هذه الناحية، إلا أن الله ﷻ ثبته وأيده بالمعجزة الباهرة: ﴿فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴿٣٨﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى

ظهور عنصر المفاجأة في ميدان المواجهة.

"إن تحقيق الصدام يحتاج إلى المفاجأة حتى يتحوّل الصدام إلى صدمة، ويشترط لنجاح التصادم حدوث حادث معين، يطلق عليه حادث (X) الذي يكون بداية الشرارة وانطلاق اللهب"⁽³⁸⁾، وقد كان هذا الحادث متمثلاً في المعجزة الربّانية الخارقة التي أجراها الله ﷻ على يد موسى عليه السلام.

ويصور لنا القرآن الكريم لحظة الصدام الحقيقي قائلاً: ﴿قَالَ لَهُم مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ (٤٣) ﴿فَالْقَوْمُ جِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّتِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالِبُونَ﴾ (٤٤) ﴿فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (٤٥) ﴿فَالْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾ (٤٦) ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧) ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (٤٨) ﴿[الشعراء: 43 - 48]، ولنا أن نتصور ونتخيّل موقف فرعون وملئه وجنوده وبطانته... من هذه المفاجأة التي فاجأتهم وفاجعتهم لما رأوا العصا تنقلب إلى ثعبان، وهي في نفس الوقت تلقف كلّ ما ألقاه سحرته من حبال وعصي... ثم يفاجأ مرة أخرى بإيمان سحرته!!!

يقول سيد قطب: "ووقعت المفاجأة المذهلة التي لم يكن يتوقّعها كبار السحرة؛ فلقد بذلوا غاية الجهد في فنّهم الذي عاشوا به، وأتقنوه، وجاءوا بأقصى ما يملك السحرة أن يصنعوه، وهم جمع كثير محشود من كلّ مكان، وموسى وحده، وليس معه إلاّ عصاه، ثمّ إذا هي تلقف ما يأفكون، والتلقف أسرع حركة للأكل، وعهدهم بالسحر أن يكون تخيلاً، ولكن هذه العصا تلقف حبالهم وعصيّهم حقاً، فلا تُبقي لها أثراً، ولو كان ما جاء به موسى سحراً، لبقيت حبالهم وعصيّهم بعد أن خيل لهم وللناس أنّ حياة موسى ابتلعها؛ ولكنهم ينظرون فلا يجدونها فعلاً! عندئذ لا يملكون أنفسهم من الإذعان للحقّ

﴿وَأَنِّي مَافِي يَمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه: 67) - [69].

38. الخضيرى، إدارة الأزمات، مرجع سابق، ص52.

الواضح الذي لا يقبل جدلاً، وهم أعرف الناس بأنه الحق: «فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا: آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ»⁽³⁹⁾.

❖ المرحلة الرابعة: مرحلة السيطرة على الخصم.

كثيرا هم الذين يصنعون الأزمات ويفتعلونها بقصد النيل من الطرف الآخر أو لكسب شرعية، أو للتسلُّط على عيوبهم، أو لقضاء مصالحهم، أو لفرض هيمنتهم...؛ لكن سرعان ما تنقلب الأمور عليهم ويأثلاً وخسراناً كما ينقلب السحر على الساحر، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43].

فموسى ﷺ أصبح سيّد الموقف ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿طه: 68﴾، وصاحب الحجّة القاطعة، حيث حُسم ميدان المواجهة الأزموية لصالحه بمعجزة من الله ﷻ؛ فانقلب السحر المأجورون، سجداً لله رب العالمين، على مرأى ومسمع من الجماهير الحاشدة ومن فرعون وملئه، لا يفكرون فيما يعقب جهرهم بالإيمان برب موسى وهارون في وجه الطاغية من عواقب ونتائج، ولا يعنيه ماذا يفعل أو ماذا يقول.

بخلاف ما كان يتمنى فرعون ويظن...؛ إذ فقدَ توازنه واتّزانه، وأظهر عجزه وقصوره الكامل أمام المعجزة، وشلت إرادته وقوته فلم يستطع مجابهة موسى ﷺ، ودمر ذاته وجلدها نتيجة للخسارة التي مني بها، وخاصةً وأنّها كانت على مرأى من الناس، فوقع في الهزيمة والخسران بعد أن كُشِف أمره وظهر كذبه، وآمن سحرته بالإله الحق ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿فَغَلَبُوا هَٰذَا وَانْقَلَبُوا صَٰغِرِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ [الأعراف: 118 – 119].

❖ المرحلة الخامسة: مرحلة تهدئة الأوضاع.

الأصل أن ميدان المعركة هو الفاصل، والمحك، والمُعيار، والحاكم، والمُحَصَّن، والميزان. .. الذي يُظهر صاحب الحق والقوة على الخصم الباطل الضعيف، فيُذعن الضعيف للقوي، ويستسلم صاحب الحجّة الضعيفة لصاحب

39. سيد قطب، في ظلال القرآن، ط7، دار الشروق، القاهرة، 1412هـ، ج5، ص2595.

الحجة القويّة، ويرجع أهل الباطل إلى أهل الحق... فحينها يتمّ التّخفيف من حدّة التّوتر القائم بين الطرفين، وينخفض الضّغط الأزمووي إلى أقلّ مستوياته، فتعود الأمور إلى حالتها الطّبيعية، والمياه إلى مجاريها، كما حدث هذا فعلاً مع أزمة الملكة سبأ حينما رأت الحقّ مع سليمان عليه السلام فأسلمت وأذعنت للحقّ، ونفس الأمر مع أزمة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام في قضية التّهمة فعندما حصحص الحقّ وظهرت براءة يوسف اعترفت وجنحت للحقّ.

أمّا هنا فلاحظنا العكس من ذلك تماماً حيث أنّ فرعون لما هُزم وضاعت هيئته لجأ إلى ممارسة القمع والإرهاب والتّصعيد بكلّ أشكاله، وذلك بافتعال أزمات أخرى منها:

أ - توبيخه للسّحرة وعتابه لهم بسبب تجرّئهم على الإيمان برّب موسى دون أخذ موافقة منه ﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لِي قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ [طه: 71]، "هذه أوّل تهمّة تدين السّحرة عند فرعون.. إنّهم آمنوا بموسى قبل أن يأخذوا إذن فرعون وإجازته!! حتّى لكان الإيمان بالله، عمل من أعمال السيّادة التي في يد الحاكم، لا يمارسه الإنسان إلا بإذن من السّلطان، فهو أشبه بأمالك الدولة، التي تحتاج إلى إذن خاص لتملكها والانتفاع بها.." (40).

ب - إلصاق التّهمّة بالسّحرة الذين آمنوا برّب موسى على أنّهم كانوا متواطئين مسبقاً مع موسى، وقصدوا بتواطئهم هذا إخلاء المدينة من أهلها:

ت - ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرُتُمْوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾ [الأعراف: 123]، "وقد قصد الطّاغية بهذا الأسلوب: أن يُلقي في أَسْماع عامّة القبط بشبهتين:

الأوّل: أن إيمان السّحرة كان بناءً على اتّفاق سابق وتواطؤ موسى.

40 . الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ج6، ص ص: 806، 807.

الثانية: أن ذلك كان لإخراج أهل مصر من ديارهم، وقصده تثبيت أهل مصر على ما هم عليه من عبادته والخضوع له وإذكاء نار عداوتهم لموسى وحقدهم عليه إذ ليس أشق على النفوس من مفارقة الأديان، وترك الأوطان⁽⁴¹⁾.

ث - اتَّهام موسى ﷺ بمعلّم السحر، وأمّا السحرة بالتواطؤ معه ضدّ فرعون ﴿إِنَّهُمْ لَكَايِرُكَ الَّذِينَ عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [الشعراء: 49] "وغرضه من هذا القول صرف الناس عن التّأسي بهم، وعن الإيمان بالحقّ الذي آمن به السحرة والظهور أمام قومه بمظهر التّبات، والتّماسك بعد أن استبدّ به وبهم الخوف والهلع، من هول ما رأوه"⁽⁴²⁾.

ج - توعّد السحرة المؤمنين بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف⁽⁴³⁾، وصلبهم في جذوع النخل: ﴿قَالَ ءَامَنُتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَايِرُكَ الَّذِينَ عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلْأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَعَنَكُمْ أَيْنًا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ﴾ [طه: 71]، يقول الرازي: "اشتغل بالتهديد تنفيرا لهم عن الإيمان، وتنفيرا لغيرهم عن الاقتداء بهم في ذلك"⁽⁴⁴⁾.

وفي مقابل هذا التّصعيد للأزمة، وحشد القوّة ضدّ من آمن مع موسى ﷺ؛ لأنّهم آمنوا بربّهم عن برهان وبينة، وفارقوا دين فرعون وقومه عن حجة واقتناع، فلا شيء يستطيع أن يردّهم عن سلوك طريقهم القويم، ولا شيء يقنعهم بالاستمرار في عبادة الطّاغية المتألّه، فردّوا على فرعون ردّا مزلزلاً بقولهم: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ

41 . مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1993م، ج3، ص1490.

42 . طنطاوي، التفسير الوسيط، مصدر سابق، ج9، ص127.

43 . من خلافٍ يعني: اليد اليمنى والرجل اليسرى 1 ابن أبي رَمَين محمد بن عبد الله (ت: 399هـ)، تفسير القرآن العزيز، ط1، حققه: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة، مصر، 2002م، ج2، ص26.

44 . الرازي، مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج22، ص72.

إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِنَعْرِفَ لَنَا خَطِيئَتَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ [طه: 72 - 73]، يقول السَّعْدِي: "أي لن نختارك وما وعدتنا به من الأجر والتَّقريب على ما أَرَانَا اللهُ من الآيات البيِّنَات الدَّالَّات على أنَّ الله هو الرَّبُّ المعبود وحده المعظم المبجل وحده، وأنَّ ما سواه باطل، ونؤثرك على الذي فطرنا وخلقنا هذا لا يكون. {فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ} ممَّا أوعدتنا به من القطع والصلب والعذاب، {إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}، أي: إِنَّمَا توعدنا به غاية ما يكون في هذه الحياة الدنيا ينقضي ويزول ولا يضرنا بخلاف عذاب الله لمن استمرَّ على كفره فإنَّه دائم عظيم"⁽⁴⁵⁾.

والظاهر أنَّ فرعون لم يستطع تنفيذ ما توعدهم به؛ لأنَّ الله قد عصمهم منه لأجل إيمانهم الرَّاسخ بالله ﷻ والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا إِنَّكُمَا وَتَّبَعْتُمَا أَتْبَعُكُمْ مَّا لَظَلْتُمَا بِاللَّهِ﴾ [القصص: 35].

❖ المرحلة السادسة: مرحلة سلب وابتزاز الطرف الآخر.

هذه المرحلة هي مرحلة جني الفوائد، والحصول على العائد والمردود الكبير من صنع الأزمة، فإِذَا ثَرَى ما الذي جناه فرعون من هذا كله؟ وهل حقَّق عوائد من خلال إدارته لأُمُور البلاد بالأزمات؟ وهل هو مثَّل يُقْتَدَى به في هذا؟ وما مصير الضَّالِّعون معه في مخطَّطات صناعة الأزمات؟

فالذي جناه فرعون ومن معه من الأطراف المشاركة والمؤيِّدة له من هامان وجنودهما من إدارة أُمُور البلاد بافتعال الأزمات، نلخصها فيما يأتي:

1 - وصف القرآن الكريم سياستهم وإدارتهم بالحمق والطيش وارتكاب

الأخطاء: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ ﴿٨﴾

[القصص: 8]، "أي: كانوا خاطئين في كلِّ شيء، ولم يصادفوا الصَّواب في

⁴⁵ - السَّعْدِي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويح، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م، ج1، ص508.

أي شيء، فلا غرابة إذا أخطأوا في تربية موسى الذي اصطفاه الله لرسالته، ليكون مصيرهم المذبح على يده وبقيادته" (46).

2- حَكَمَ القرآن الكريم على رأي فرعون، وسياسته للأُمور بالغِي والضَّلَال: ﴿فَاتَّبِعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٧٧﴾﴾ [هود: 97]، وأخبرنا عن مآل كيده بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٧٧﴾﴾ [غافر: 37]. والآيتان بيان للحال الذي انتهى إليه أمر فرعون، وأنه مضى في طريق الضلال إلى غايته القصوى.. فقد زُيِّنَ له بضلاله، واستكباره سوء عمله هذا، فرآه حسناً، فمضى فيه، وصدَّ عن سبيل الله، وما شأنه وتصرفاته تنم عن رشد واهتداء، بل هي محض الغي والضلال، والظلم والفساد، وما كيده الذي يكيد به للمؤمنين إلا في فساد وضياع وخسران.

3- نص القرآن الكريم بأن فرعون من الطواغيت في أكثر من مرة (47):

4- ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾﴾ [طه: 43]، وبأنه من المستكبرين: ﴿وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَطُوتُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [القصص: 39]، وقد وصل به طغيانه واستكباره أن ادَّعى الألوهية: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا أَلَمَلَأْ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: 38]، كما ادَّعى الربوبية: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٥﴾﴾ [النازعات: 24].

46. الناصري محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1995م، ج4، ص485.

47. وُصِفَ بالطغيان في سورة طه في الآية: 24 والآية: 43، وفي سورة النازعات الآية: 17.

5- انتقم الله منه ومن جنوده فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فلم ينفعه ملكه ولا سُلطانه: ﴿فَأَتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ﴿١٣٦﴾ [الأعراف: 136].

6- لعنهم الله في الدنيا والآخرة: ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ ﴿٤١﴾ [القصص: 42]. يقول السعدي: "وأتبعناهم، زيادة في عقوبتهم وخزيهم، في الدنيا لعنة يلعنون، ولهم عند الخلق الشَّاء القبيح والمقت والذم، وهذا أمر مشاهد، فهم أئمة الملعونين في الدنيا ومقدمتهم، {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ} المبعدين، المستقدرة أفعالهم. الذين اجتمع عليهم مقت الله، ومقت خلقه، ومقت أنفسهم" (48).

7- إبقاء بَذَنه عبرة لمن يعتبر: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ [يونس: 92]، "أي: فالיום نجعلك على نجوة من الأرض ببدنك ينظر إليك من كذب بهلاكك، لتكون عبرة لمن بعدك من النَّاسِ يعتبرون بك فينزعجون عن معصية الله والكفر به، والسَّعي في الأرض بالفساد" (49).

8- توعدهم الله بشدة العذاب يوم القيامة ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ﴿٤٦﴾ [غافر: 46]. "أي: فإذا كان يوم القيامة دفعوا إلى تلك النار التي كانوا يغدون عليها ويروحون... وليست النار فحسب، بل الدرك الأسفل منها، حيث يلقون أشدَّ وأنكى ما يلقى أهل النار من عذاب..."(50).

48. السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مصدر سابق، ج 1، ص 616.

49. المراغي، تفسير المراغي، ط 1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1946م، ج 11، ص 151.

50. الخطيب عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن، مصدر سابق، ج 12، ص 1241.

(7) حكم الإدارة بالأزمات:

قلنا فيما سبق أن صناع الأزمات الذي ذُكروا في القرآن الكريم يوصفون بأنواع من الظلم والاستبداد والكفر والنفاق. ... ويفتعلون هذه الأزمات قصد الاستعلاء، ورعاية مصالحهم وإشباع غرائزهم؛ ولو كان ذلك على حساب غيرهم من تقتيل، وترويع، وتخريب... كما أن افتعال الأزمات يتطلب من صانعيها الكذب، والخيانة، وإشاعة الأخبار الباطلة، والتعدي على الحرمات، والمكر، والخداع... فكل هذا وغيره يجعلنا نحكم على الإدارة بالأزمات عموماً بالتَّحريم، وبتجريم صانعيها؛ وبالأخص إذا دُبِّرَتْ وأُحيكت للعداوة للدِّين وأهله: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَمَا زِلُوا بِإِيمَانِهِمْ فَهُمْ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝﴾ [البروج: 8 - 10].

ومن هنا فإنه لا يجوز بحال أن نضيق على الناس بتدبير الأزمات والشدائد لهم وإن كانوا كفاراً ومشركين، ما داموا أنهم أعطوا لنا الأمان في ديننا؛ لأن القرآن الكريم يأمرنا بالتعامل بالحسنى مع جميع الناس، وإعطاء الأمان المطلق لهم كما قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝﴾ [المتحنة: 8]، وقال أيضاً: ﴿وَلَنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَنْتَجَرَكَ فَلْأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [التوبة: 6]. وقال أيضاً: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُّوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝﴾ [التوبة: 7].

الخاتمة:

نخلص في هذا البحث إلى النتائج الآتية:

أولاً: يُعد القرآن الكريم منهل خصب لجميع العلوم والمعارف فهو ليس كما يُظن أنه مقتصر على أمور الشريعة فحسب؛ بل يشملها ويشمل غيرها من

العلوم، وما علم إدارة الأزمات إلا عربونٌ لذلك حيث أورد القرآن الكريم وأصله من الجانب النظري كبيان مفهوم الأزمة، وأسبابها، وخصائصها، ومراحلها، كما لم يغفل عن الجانب التطبيقي بتقديمه نماذج عملية ممن أداروا أزمات وحققوا فيها نجاحات باهرة... فهو بحق معجزة خالدة حيث أعجز أهل هذا العصر بما اشتهروا به من علم في إدارة الأزمات ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: 89].

ثانياً: ميّز القرآن الكريم بين إدارتين: إدارة الأزمات، والإدارة بالأزمات، فأشاد بالأولى ونوّه بها، وبيّن أنّها منهج الأنبياء وعباد الله الصالحين، بينما الثانية شنع عليها وتوعّد عليها، وبيّن أنّها منهج الطواغيت والجبابرة.

ثالثاً: أوضح القرآن الكريم أنّ الواجب على المنظمات والحكومات أن تدير شؤون البلاد بما يسمّى بإدارة الأزمات والقائم على أسس علمية وعملية مدروسة، ومحدّراً إيّاها بانتهاج أسلوب الإدارة بالأزمات المبني على الظلم والاعتداء؛ لأنّه سيعود عليها حتماً بالوبال والخسران.